الجرهيس
جاسوس أم ضحية ؟ !

فى عام ١٩٤٧م كان الجر هيس نجمًا ساطعًا فى المجتمع الأمريكى ، وهو حاصل على شهادة جامعية من هارفارد ، وهو محام موهوب ، مفاوض محنك يوضع فى مصاف الشخصيات اللامعة فى هذا الفن ، من أمثال فرانكلين روزفلت صاحب « البرنامج الجديد » وهو برنامج تشريعى وإدارى وضعه الرئيس الأمريكى « روزفلت » ابتغاء الانتعاش الاقتصادى والإصلاح الاجتماعى خلال العقد الرابع من هذا القرن .

كان « الجرهيس » خبيرًا فى الدبلوماسية الدولية الأمر الذى أهله لِشرف الفوز بصفة مؤقتة بمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة ، وتقلد مؤخرًا رئاسة لجنة السلام الدولى .

وفجأة تم توجيه الاتهام لهذا الرجل الموهوب ذى الشخصية الوقورة بالتجسس وتسريب معلومات غاية فى الأهمية والحساسية إلى الروس تمس مستويات عالية من رجال الساسة الأمريكيين ، صدر الادعاء على لسان هوايت « تاكر شامبرز » كاتب الافتتاحيات فى مجلة « التايم » الذى كان يتحرق شوقًا لكشف وتعرية الذين دبروا له المكائد فى الماضى ، أدلى « شامبز » بشهادته أمام سناتور « بو مكارثى » رئيس لجنة HUAC، وهى لجنة تابعة للحزب الجمهورى فى الولايات المتحدة الأمريكية لمكافحة الشيوعية ، وهى المسئولة عن تصيد ذوى الميول الشيوعية ، والتى فضحت العديد من الممثلين ورجال السياسة والضباط ، الذين تورطوا سرًا فى اعتناق الفكر الشيوعى ، ومعظم الاعترافات التى أدلى بها هؤلاء المشاهير أثناء التحقيق معهم ، تم الحصول عليها

تحت تأثير التهديد مرة ، والترغيب مرة مما دفعهم إلى الإفصاح عن بعض أسماء المتورطين معهم فى هذا النشاط خوفًا من تسليط الأضواء عليهم ودرءًا لمتاعب الفضائح وإثارة الأقاويل .

الجرهيس فى طريقه لتنفيذ عقوبة الحبس

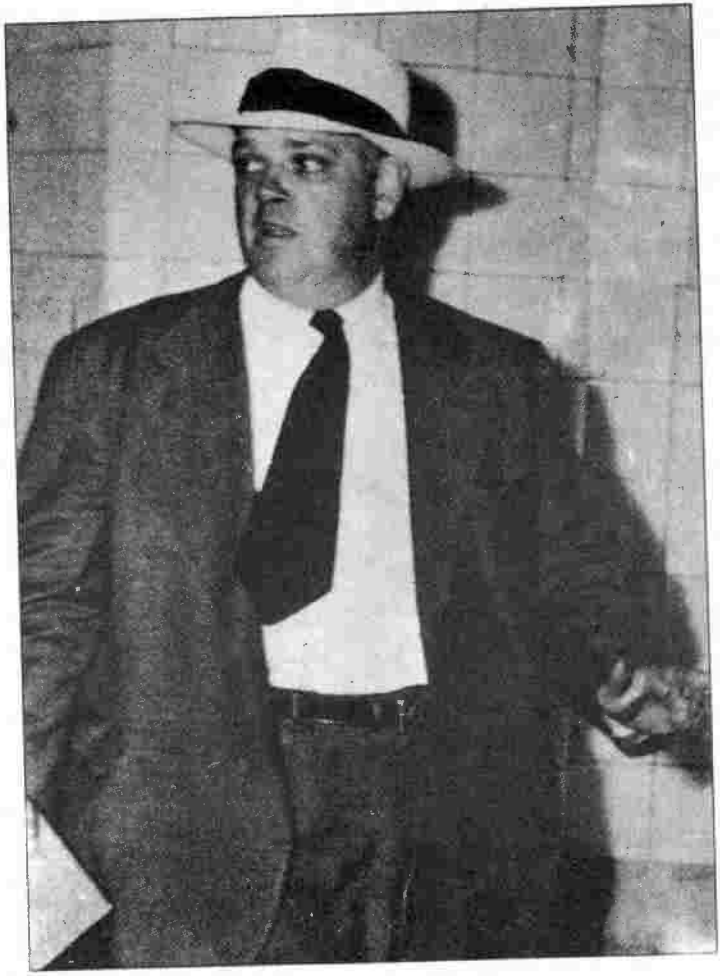

تشامبرز فى طريقه إلى قاعة المحكمة

تعرف « هيس بشامبرز » خلال عام ١٩٣٠م الذى قدم نفسه « لهيس » باسم « جورج كروسلى » ، وعرفه كصحفى مكافح يناضل بصعوبة بالغة ويتكسب بمشقة من بيع مقالاته بالقطعة فى الصحف والمجلات ، وهو يتميز بمهارة فائقة فى التطفل على موائد الآخرين ، تعاطف « هيس » مع « كروسلى » فى أزمته المالية الطاحنة ، وساعده فى استئجار شقة من الباطن ، وتمادى فى تعاطفه مع « كروسلى » البائس إلى حد إعارته سيارة قديمة ، وفى آخر الأمر تعب المحامى الصغير من تلبية مطالب كروسلى التى لا تنتهى ، وقرر قطع هذه الصداقة .

وعندما وشى « شامبرز » باسم « هيس » كأحد المتعاطفين مع الشيوعية ، صرح الأخير بأنه لم يفهم بوضوح أن سبب الاتهام وشاية من « كروسلى » إلا بعد إتمام المواجهة بينهما .

قدم « شامبرز » تفسيرًا لاتهاماته على أساس أن « هيس » وعددًا آخر من الشخصيات اللامعة حددهم بالاسم كانوا ضمن مجموعة الشيوعيين عام ١٩٣٠م ، ولاشك أن اتهامًا من هذا النوع كفيل بتحطيم شخصية مرموقة مثل « هيس » ، الأمر الذى دفعه إلى رفع دعوى قذف وتشهير ضد الصحفى .

توسع « شامبرز » فى ادعاءاته ، وتمادى فى توجيه الاتهام بالقول : بأن « هيس » عمل كجاسوس لحساب الشيوعيين ، وطبقًا لراويته فإن « هيس » كان يقوم بنقل المستندات إلى منزله كى تقوم زوجته بإعادة طبعها على الآلة الكاتبة وتمريرها فيما بعد إلى « شامبرز » بينما تعاد الأصول إلى أماكنها ، قام « شامبرز » بتصوير الأوراق وتقديمها إلى عميل روسى ، ويتبادر إلى الذهن سؤال يحتاج إلى تفسير ، لماذا لم يتم تصوير الأوراق بمعرفة « هيس » بدلا من إعادة كتابتها ، ولا شك أن تصوير الأوراق يوفر الوقت ويضمن الحصول على نسخ نظيفة خالية من الأخطاء ، إلا أن « شامبرز » لم يستطع تقديم تبريرات معقولة وأجوبة مقنعة عن هذه الأسئلة .

قدم « تشامبرز » دلائل جديدة وقرائن أخرى تدين « الجرهيس » عقب زيارة قام بها فجأة إلى مزرعته وعند عودته قدم إلى HUAC فيلمًا مقاس ٣٥ مللم ، ثم تصويره وفقا لادعاءاته فى ضواحى هوليوود ، ويشتمل الفيلم على وثائق حكومية هامة ، وبعدها تم استدعاء كلا الرجلين للمثول أمام كبير القضاة للتحقيق فى هذه الادعاءات بتهمة التجسس ، وأنكر « هيس » قيامه بتسليم أى مستندات إلى « شامبرز » .

عند ثبوت تهمة التجسس على « هيس » فلاشك أن الآثار المترتبة على ذلك ستكون مدوية وخطيرة ، وخاصة إذا علمنا أنه كان محيطًا بكل صغيرة وكبيرة عن أعمال مؤتمر يالتا الذى عقد عام ١٩٤٥م فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وأنه آنذاك كان وثيق الصلة بكل من الزعماء الثلاثة « روزفلت » — « ستالين » — « تشرشل » ، وفى الوقت ذاته كان يشغل وظيفة مدير مكتب الشئون السياسية الخاصة والمسئول عن صياغة الخطط المناسبة لهيئة الأمم المتحدة ، لترسيخ السلام .

زادت سخونة الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا فى هذه الأيام واشتعلت المنافسة بينهما ، ولاشك أن الروس حققوا استفادة قصوى من سيل المعلومات التى تسربت إليهم ، خاصة فيما يتعلق بنوايا وأفكار الأمريكان فى هذا الوقت ، وكذا من المعلومات المتسربة عن الأحوال الداخلية فى أمريكا والتى قدمها عن طيب خاطر الجرهيس — كان أكثر ما تخشاه أمريكا فى زمن الحرب الباردة هو تسرب الشيوعية ، وها هو ذا أحد مواطنيها ذوى الخطوة والمكانة يقدم المساعدة للأعداء .. ولو كان الاتهام صحيحًا .. فلاشك أن الفضيحة ستكون مدوية .

الجرهيس يصافح الرئيس هارى ترومـان

انحصر دليل الإتهام فى الآلة الكاتبة التى قيل إن زوجة « هيس » استخدمتها فى كتابة الوثائق وقدم الادعاء الدلائل التى تؤيد أنها الماكينة التى استخدمت فى نسخ الوثائق التى قدمها « تشامبرز » ، وفى وقت لاحق قدم « الجر » الدليل على خطأ الادعاء وأن ماكينة أخرى استخدمت فى التنفيذ ، وسارع المحامى بتقديم الدليل فى ساحة المحكمة لإثبات أن الماكينة التى قدمها الادعاء كسند على صحة الاتهام لم تستخدم فى طبع الوثائق .

لم يستطع القاضى فى المحاكمة الأولى الوصول إلى حكم ولكن فى المحاكمة الثانية ، وجد القاضى أن الجر مذنب وأصدر فى ٢١ يناير ١٩٥٠م حكمًا بحبس « الجر » خمس سنوات ، وخرج « هيس » من السجن فى ٢٧ نوفمبر ١٩٥٤م ، ولكنه ظل ينادى ببراءته وطهارته إلى الأبد .

ولو كان الاتهام صحيحًا ، فإن السنوات الخمس التى عاناها فى السجن تعتبر ثمنًا بخسًا جدًّا بالنسبة لضخامة الجرم ، الكثيرون من حزب اليمين يعتقدون اعتقادًا راسخًا بأن هيس خائن ، وأن « شامبرز » بطل قومى ، وفى سنة ١٩٨٤م منح « ريجان » إلى اسم « شامبرز » الذى توفى مؤخرا ميدالية الحرية قائلاً إنه يجسد صورة الإنسان الفاضل الذى واجه الشر وقاسى من الألم والعذاب .

ولكن إذا كان « شاميرز » كاذبًا فى ادعائه يقفز إلى الذهن سؤال حائر عن كنهه الشخصى الذى ساعده فى تقديم وثائق دعواه ، سؤال مازال يبحث عن إجابة شافية ، ولغز يصعب حله ، وفك رموزه الغامضه هل هو أحد الحاسدين دس دليل الاتهام ضد « الجر هيس » ليزيحه من الطريق ! ؟

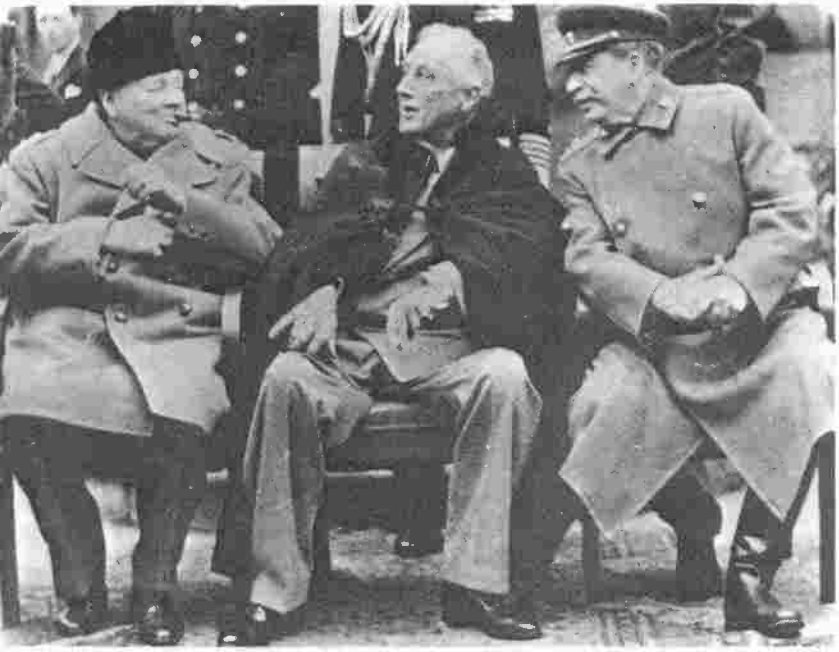

فرانكلين رزوفلت ، تشرشل وستالين

ريتشارد نيكسون أحد المتحمسين لمقاومة الشيوعية فى هذا الوقت